البناء
السنة السابعة / السبت / 5 أيلول 2015 / العدد 1876
Seventh year / Saturday / 5 September 2015 / Issue No. 1876

هل يتحالف العرب مع «القاعدة» للتخلّص من «داعش»؟

ترجمة: ليلى زيدان عبد الخالق

كتبت صحيفة «نيويورك ريفيو أوف بوكس» الأميركية:

هل تصبح المجموعة التي بقيت لفترة طويلة تصنّف على أنها التنظيم الإرهابي الأكثر دموية في العالم، الاختيار الأمثل المتبقي للولايات المتحدة وحلفائها في الشرق الأوسط؟

تسود واشنطن وعواصم العالم الغربي حالياً حالة من التشوش إزاء الوضع الراهن لتنظيم «القاعدة» ومستقبله. ويزعم الدبلوماسيون والمحلّلون في الغرب أن تنظيم «داعش» قد تجاوز بشعبيته ووحشيته قاعدة الجهاد الإرهابية وتفوّق عليها. فيما يصرّ آخرون على أن «القاعدة» تتوسع في سورية واليمن، ولا تزال تتمتع بقوة على التربتين الباكستانية والأفغانية حيث يقع مقر قيادتها، ويرى هؤلاء أن التنظيم لايزال يشكل الخطر الإرهابي الأبرز بالنسبة إلى الغرب.

وفي غضون ذلك، تشير الأحداث الجارية في منطقة الشرق الأوسط إلى تناقض ملحوظ في سياسات الغرب. فالولايات المتحدة تقصف - جنباً إلى جنب - «داعش» و«جبهة النصرة»، ذراع تنظيم «القاعدة» في سورية. بينما تقود الولايات المتحدة تحالفاً دولياً ضدّ تنظيم «داعش»، يضمّ تركيا والسعودية، وتقدّم دعماً فعالاً لـ«جبهة النصرة» يتضمن المال والسلاح.

وفي اليمن، واصلت الولايات المتحدة تنفيذ حملة من الغارات الجوية بطائرات من دون طيار استمرّت سنة كاملة ضدّ تنظيم «القاعدة في جزيرة العرب»، أثمرت مؤخراً عن مقتل ناصر الوحيشي، زعيم هذا التنظيم. وفي مقابل ذلك، تصطفّ معظم الدول العربية - مضطرّة - إلى جانب تنظيم «القاعدة في جزيرة العرب» في الوقت الحالي، وذلك في الحرب التي تقودها السعودية ضد المتمرّدين الحوثيّين هناك. وبينما يؤكد التنظيم - يوماً بعد يوم - قدرته الهائلة على كسب الأراضي والحفاظ عليها وجذب آلاف المجاهدين من بلاد الغرب، فلم تطالعنا أبحاث تدرس هذا التأثير الدراماتيكي الذي من الممكن أن يخلّفه تنظيم «داعش» على قاعدة الجهاد نفسها.

أما الحقيقة التي نحن بصددها، فهي تشير إلى أن «القاعدة» أظهرت تطوراً ملحوظاً منذ مقتل أسامة بن لادن وظهور تنظيم «داعش». وعلى رغم الحملة المنظمة التي تقودها الولايات المتحدة وتحالفها الذي يتكون من ستين دولة، فإن هذا التنظيم يزعم أنه يملك قوات برية في أكثر من عشر دول تمتدّ من تونس إلى وسط آسيا وباكستان، كما أنه يسعى خلف مشروع إقامة دولة الخلافة، الأمر الذي لم يتعدَّ - إلى الآن - مرحلة الأحلام التي تراود تنظيم «القاعدة». ويتضح أن أخطر التداعيات التي قد تصاحب تنامي تواجد تنظيم «داعش» على المدى البعيد، تكمن في إمكانية تسبّبه بإطلاق حرب كبرى بين عموم الطائفة السنّية وعموم الطائفة الشيعية، والتي قد تُنتج انقساماً حاداً في العالم الإسلامي قد يستمرّ لعقود من الزمن.

ومن ناحية أخرى، يشهد تنظيم «القاعدة» حالة واضحة من الانكماش، ولا يزال - في الوقت عينه - يمتلك حضوراً بارزاً في سورية والعراق واليمن، من خلال أذرعه الممتدة هناك. كما أنه لا يزال مُلهماً لمسلحي باكستان ووسط آسيا وأفغانستان، الذين يوفرون المأوى والقوى البشرية للتنظيم، بهدف الحفظ على راية قيادته حية في يُمنى أيمن الظواهري. أضف إلى هذا أن «القاعدة» وضعت نفسها في منأى عن نهج تنظيم «داعش» لناحية الأهداف والاستراتيجية والمعارك التي يخوضها التنظيم في كل من سورية واليمن.

إن السؤال الذي يلحّ علينا الآن هو: هل أن «القاعدة» تتغير؟ وإذا كان كذلك، فإلامَ تتغيّر؟ وهل سيكون هذا التغيير إلى الأفضل أم إلى الأسوأ؟ وما هي المميزات التي يمكن أن تملكها «القاعدة» في المواجهة المحتومة مع تنظيم «داعش»؟

يتسبب حضور «القاعدة» الملتبس في زيادة حدّة الصراع المستعر في الشرق الأوسط، في ظلّ وجود اختلاف دراماتيكي بين الولايات المتحدة والدول العربية حول الآلية التي ينبغي أن تكون عليها الحرب ضدّ هذا التنظيم. فهناك حربان كبيرتان تخاضان وسط فوضى الصراعات المتزامنة التي تجري في سورية والعراق وليبيا واليمن على قدم وساق، وتُخاض هذه الحروب منفصلة وعلى نار هادئة. تخوض الولايات المتحدّة وحلفاؤها في الغرب، الحرب الأولى، في محاولة منهم لهزيمة «جبهة النصرة» في سورية وتنظيم «القاعدة في جزيرة العرب» في اليمن. يصاحب ذلك، الحملة التي تُخاض ضدّ تنظيم «داعش». ومع هذا فإن الدول العربية لا تشارك إطلاقاً في تلك الحرب ضدّ «القاعدة»، كما لا تمدّ هذه الدول القوات الأميركية التي تقود الحرب، بالدعم الاستخباراتي.

أما الحرب الثانية، فتخوضها تركيا والدول العربية الممتدّة في الإقليم - السعودية، والإمارات، والأردن، ومصر - ضد الرئيس السوري بشار الأسد والقوات الأخرى المدعومة من إيران، إضافة إلى حربهم ضد تنظيم «داعش». والملاحظ، سعي الدول العربية إلى تجنب قصف «جبهة النصرة» وتنظيم «القاعدة في جزيرة العرب» أو مهاجمتهما، لا بل إنها تعمل على إمدادهما بالدعم المالي والسلاح. والسبب في هذا أن الجماعتين أعلنتا أهدافاً لا تختلف عن أهداف الدول العربية.

فها هي «جبهة النصرة» قد صاغت هدفها الرئيس: الإطاحة بنظام بشار الأسد، وهزيمة ميليشيا حزب الله الداعم لإيران، والقضاء على الدعم الإيراني للأسد. وعلى المقلب الآخر، يقاوم تنظيم «القاعدة في جزيرة العرب» ثورة الحوثيين، كما أنه يرغب في القضاء على التأثير الإيراني في اليمن. ولهذا أصبح كلا التنظيمين حلفاء للدول العربية لا أعداء لها، على رغم أن «القاعدة» نفسها سعت في الحقيقة من قبل إلى الإطاحة بتلك الأنظمة.

ويتعارض كل هذا مع غايات الولايات المتحدة وأغراضها ومصالحها في المنطقة. فالرئيس الأميركي باراك أوباما ووزير خارجيته جون كيري ما زالا يصرّان على التشابه الكبير بين ذراعَي «القاعدة» في اليمن وسورية، وتنظيم «داعش».

كما تبقى الحقيقة التي تقول أن الجماعتين دمويتان، صارخة وجليّة. وعلى وجه التحديد، أظهر تنظيم «القاعدة في جزيرة العرب» خلال السنوات الأخيرة قدرته على التخطيط من أجل تحقيق طموحه في توجيه هجمات ضد أهداف غربية. ولا يزال العرب يبرّرون سلوكهم تجاه «القاعدة» زاعمين احتمالية تطور التنظيم. وقد استولت الجماعتان على مدن وأحياء في سورية واليمن، لتسيطر «القاعدة» - والحال هذه - للمرّة الأولى على الأرض. والجماعتان وضعتا سياسات للسيطرة المحلية على المناطق التي تستوليان عليها، واللافت أن تلك السياسات مغايرة تماماً لما يتّبعه تنظيم «داعش».

أما إذا نظرنا إلى حالة «جبهة النصرة» التي تعدّ المنافس الرئيس لتنظيم «داعش» على الأراضي السورية، فعلى عكس تنظيم «داعش» الذي يطالب أهالي المناطق التي يسيطر عليها بالخضوع التام له (إما التسليم أو القتل)، فإن «النصرة» تتعاون مع جماعات أخرى مناهضة للأسد، كما أنها انضمت مؤخراً إلى «جيش الفتح»، وهو اتحاد عسكري بين قوات المعارضة في شمال سورية. علاوة على هذا، فإن قوات تنظيم «داعش» تعتمد بصورة كبيرة على عناصر غير سورية بعكس مقاتلي «النصرة»؛ التي نجد أن غالبية عناصرها من السوريين ما يجعلهم أكثر جدارة بالثقة والالتزام من أجل مستقبل سورية. وكذلك، فإن قادة «النصرة» قد تعهّدوا في المقابلة التي أجرتها معهم قناة «الجزيرة»، بعدم مهاجمة أيّ أهداف تنتمي إلى الغرب، ما يعزّز بروز أيديولوجية يمكن تسميتها بـ«الجهادية القومية» بدلاً من «الجهادية العالمية». وفي الأشهر الأخيرة، هدّأ قادة «النصرة» من النبرة التي تنادي بتطبيق نموذجهم الدموي المتعلق بتطبيق الشريعة الإسلامية، كما أنهم يؤجلون خططهم الداعية إلى إقامة دولة الخلافة.

ويدلّل تنظيم «القاعدة في جزيرة العرب» على الكثير من تلك التغيرات، فإن استيلاء ذراع «القاعدة» في اليمن على محافظة حضرموت جنوب شرق البلاد يعدّ بمثابة علاقة ترويض واضحة. فقد استولت المجموعة على العاصمة مكلا ونهبت البنك، ثم انسحبت من دون أن تدير الحكومة بنفسها أو تفرض قوانين الشريعة، لا بل عملت على تشكيل مجلس أهلي مشترك مع القبائل الحضرمية، وحثّوا المجلس على تركيز اهتمامه على الحكم وتوفير الخدمات للأهالي.

في ظل هذا، سيتمكن القادة العرب من تحديد ما إذا كانت «القاعدة» قد تغيّرت بالفعل من خلال سلوك التنظيم تجاه الطائفة الشيعية على المدى البعيد. فكل من «القاعدة» وتنظيم «داعش» يبغض الطائفة الشيعية، لكن «القاعدة» حاولت في الماضي أن تجعل آراءها أكثر اعتدالاً، وتتجنب تلك الحرب الطائفية الواسعة المدى التي يخوضها تنظيم «داعش» في الوقت الحالي. وكان أسامة بن لادن قد حذّر مقاتليه العرب ومقاتلي «طالبان» عام 1998، أن يكفّوا عن القتل المفرط لأبناء الطائفة الشيعية في أفغانستان. وكذلك، خلال ذروة الحرب في العراق عندما شنّ أبو مصعب الزرقاوي، زعيم تنظيم «القاعدة في بلاد الرافدين»، حملة دموية غير مسبوقة ضدّ الشيعة، وقد حذّره حينها كلٌ من أسامة بن لادن وأيمن الظواهري وحثّاه على التوقف عما يفعل. ويبدو أن كلاً من «جبهة النصرة» وتنظيم «القاعدة في جزيرة العرب» يحاولان تجنب أي نوع من التعصب الطائفي ضد الشيعة، إيماناً منهما أن ذلك سيعيق تقدّمهما في كسب مزيد من الأراضي. ولا تزال هناك حلقة مجهولة في تلك المعادلة، تتعلق بما إذا كان ذلك الاعتدال تجاه الأقليات، مثل العلويين والأيزيديين في سورية والعراق، سيستمر في حالة سيطر التنظيم كلياً على زمام الأمور في تلك الأراضي، كما يبدو مجهولاً أيضاً سلوكهم تجاه فكرة الدولة الكرديّة المستقلة شمال العراق.

وتوحي تلك الحالة من التقارب بين العرب و«القاعدة» بحقيقة فشل سياسات الولايات المتحدة، إذ إن جهودها لبناء ما يسمى «المعارضة المعتدلة» في سورية من جانب، وجهودها من أجل جلب السنة والشيعة معاً تحت حكم النخبة الشيعية العراقية من جانب آخر، أصبحت جميعها استراتيجيات محكوم عليها بالفشل. وبعدما وصلت الولايات المتحدة إلى اتفاق مع إيران حول برنامجها النووي، فإن عدداً من القادة العرب يعتقدون أن الولايات المتحدة ستتخلى عنهم.

ومع دخول أموال العرب إلى المعادلة، اكتسبت جماعتا «النصرة» و«القاعدة» في جزيرة العرب مزيداً من القدرة على الحكم المحلي وبناء الدولة. وعلى رغم الإيديولوجية الجهادية البغيضة التي تؤمن بها هاتان الجماعتان، فلا تزالان أقل تهديداً من تنظيم «داعش».

تقول بعض التقارير إن أيمن الظواهري زعيم تنظيم «القاعدة» أمر بوقف الهجمات ضدّ الولايات المتحدة في الوقت الحالي من أجل السماح لـ«القاعدة» وأذرعها بالتركيز أكثر على شؤون الشرق الأوسط. وكان لدى ناصر الوحيشي، الذي قضى في حزيران الماضي بهجوم لطائرات من دون طيار، وكذلك محمد الجولاني، زعيم «جبهة النصرة» وهو لا يزال حياً يرزق، أوامر مباشرة أوضحها الجولاني في مقابلته مع «الجزيرة»، إذ قال: «التعليمات التي لدينا تحثنا على عدم اتخاذ بلاد الشام قاعدة لشنّ هجمات ضد الغرب وأوروبا كي لا نعيق الحرب الدائرة حالياً».

وقد أصبح هدف الدول العربية في سورية، بعد وصول عدد القتلى إلى 230 ألفاً والمشرّدين إلى 7.6 مليون سوري، السرعة في التخلص من نظام الأسد وإيجاد حلّ قابل للتطبيق في هذا البلد المنكوب. وهم على دراية بأن «المعارضة المعتدلة» الضعيفة لن تتمكن من إيجاده، وأن أي محاولة للوصول إلى سلام دائم ستتطلب دعماً من الجماعات الإسلامية القوية والشرسة التي تقاتل هناك.

ويتّبع الملك سلمان سياسة تتّسم بالعداء الكبير تجاه إيران وسورية، وذلك منذ تربعه على عرش السعودية في كانون الأول 2015. وهو على استعداد تامّ لمقارعة الكؤوس على مأدبة الشيطان، حتى لو كان هذا الشيطان «القاعدة» بذاتها، من أجل تحقيق أهدافه. ومع الإذلال الذي تشعر به تركيا بعدما فقدت سيطرتها في المنطقة، فهي تعمد حالياً إلى إنشاء مركز للتحكم والقيادة لـ«جبهة النصرة» فوق أراضيها.

على الغرب إدراك أن القوى على الأرض تتحول بسرعة في منطقة الشرق الأوسط، وأن «الربيع العربي» على وشك التحول إلى شتاء إسلامي أصولي، سواء أراد الغرب ذلك أو لم يرد. فالولايات المتحدة دفعت ثمناً مريراً في التراجع عن دعم الدول العربية لإزاحة الأسد لأربع سنوات، عندما كانت هناك «معارضة معتدلة» يمكنها تولي زمام الأمور. ولا يُفترض بنا أن نشعر بالدهشة إن بدأت محادثات رسمية بين تنظيم «القاعدة» وتلك الدول العربية في الأشهر المقبلة. لأنه حينئذٍ، ستكون الولايات المتحدة هي الطرف الوحيد الغائب عن طاولة المفاوضات.

«داعش» وحزب البعث العراقي

كتب مركز الدراسات الاستراتيجية والأمنية الأميركي «ستراتفور»:

إن المتابع للإرهاب، و«داعش» على وجه الخصوص، لا يسعه إلا أن يلاحظ الزيادة الحادة الأخيرة في كمية الخطاب حول عدد من البعثيين السابقين في قيادة «داعش» وتأثيرهم على التنظيم. أنا لست متأكداً مما إذا كان التركيز المتزايد على هذه النقطة هو محاولة متعمدة لتقويض الطعن المقدم من «داعش» من خلال التشكيك الإسلاميين ودوافعهم، أم أن ذلك كان مجرد انعكاس لاعتراف متزايد بالدور الذي لعبه أعضاء سابقون في حزب البعث «الصدّامي» في عملية إعادة الخروج من الرماد بعد عام 2010.

وبالتأكيد، فقد أرسل برنامج اجتثاث البعث الذي وُضع في أعقاب غزو العراق عام 2003 عدداً من البعثيين السنّة إلى أحضان الجماعات الجهادية مثل جماعة «التوحيد والجهاد» تحت قيادة أبو مصعب الزرقاوي. وجلب هؤلاء الرجال ليس فقط أطنان الأسلحة، إنّما أيضاً مجموعة واسعة من المهارات، مثل الاستخبارات ومكافحة التجسس والشبكات والتهريب، التي كانت مفيدة للحركة الجهادية المتنامية بسرعة. وكان عدد من ضباط الجيش العراقي السابق الذين انشقوا وانضموا إلى الجهاديين لديهم أيضاً من المهارات العسكرية التي سمحت لهم بتدريب المقاتلين المحليين والأجانب. وكان لهؤلاء الضباط أيضاً دور أساسي في صوغ أسلوب الحرب الهجينة لـ«داعش»، والتي استخدمت عناصر الإرهاب، مثل عدد من السيارات المفخخة الانتحارية في اختراق المجمعات، والقيام بـ«الصدمة والرعب» من خلال العمليات العسكرية التقليدية.

وجاء عدد كبير من أفراد الجيش العراقي الذي انضموا إلى الجهاديين من قوة شبه عسكرية تعرف باسم «فدائيو صدّام»، التي كانت ضليعة في الحرب غير النظامية. وظهر «فدائيو صدّام» في التسعينات، وأصبح أعضاؤها جيلاً من القتلة الأكفّاء المدربين بخبرة على تنفيذ التعذيب السادي والإعدام الدراماتيكي. ومن المعروف أيضاً أنّ هذه الجماعة تقطّع أشلاء الضحايا، وتقوم بقطع الرأس ورمي الضحايا خارج المباني، وهي الإجراءات التي نجدها معكوسة بشكل واضح في سلوك «داعش». ومع ذلك، فإن الأمر لا يعدو مجرد خداع في محاولة رسم «داعش» كمنظمة بعثية، أو الإيحاء بأن البعثيين يتحكمون بطريقة أو بأخرى، في السر، بالتنظيم ويستخدمون الدين كغطاء للسعي المستمر لجدول أعمالهم البعثي.

وفي دراسة أدوار البعثيين السابقين الممكنة في «داعش»، فمن المهم النظر في طبيعة حزب البعث العربي الاشتراكي وحكمه في العراق، والذي استمر من عام 1968 حتى عام 2003. أولاً وقبل كل شيء، كان حزب البعث حزباً قومياً سعى إلى توحيد العالم العربي كله تحت حكم البعث. وكان حزب البعث أيضاً حزباً ثورياً يعتقد أنه في انتفاضة مسلحة. وليس من الخطأ أن تأتي أطراف البعث في العراق وسورية إلى السلطة عن طريق الانقلابات. تأسيس حزب البعث في العراق والقمعية، الدولة البوليسية الاستبدادية التي كانت مليئة بالمخبرين، وعززت الخوف الشديد من عدد السكان. وأصبح العراق دولة بوليسية اشتراكية لا تختلف عن ألمانيا الشرقية الشيوعية أو «أنور خوجا» في ألبانيا.

وعندما جاء صدّام حسين إلى السلطة عام 1979، قاد حملة تطهير «ستالينية» لتعزيز سيطرته على حزب البعث العراقي والعراق. إنه لن يتسامح مع أي معارضة، واشتهر بقتل آلاف لا تحصى من شعبه في سعيه لبسط سيطرته الكاملة على البلاد. وتحولت الحركة البعثية في العراق من حركة اشتراكية ثورية لعموم العرب إلى عبادة شخص متمثل في صدّام، إذ خلع عليها عدد من الكتّاب اسم الحركة «الصدّامية». تشكيل «فدائيو صدّام»، والذي تمثلت مهمته في «أنّ عناصره على استعداد للموت من أجل صدّام»، وهو قوة من حوالى 30 ألف رجل كانوا قد تعهدوا بالتضحية بأرواحهم من أجل زعيمهم، عكست فكرة عبادة الشخصية.

وبدلاً من محاولة التوحيد سياسياً مع دول أخرى، مثل سورية، لتشكيل دولة البعث القومية العربية، اختار صدّام بدلاً من ذلك لتوسيع دولته الصدّامية بغزوه الأول إيران وغزوه الكويت في وقت لاحق. وجلبت كل من هذه المشاريع كارثة على العراق والشعب العراقي. لقد قتلت الانتفاضات التي كتبها الغالبية الشيعية والأقلية الكردية في العراق بالقوة المفرطة. وعارضت الحكومة البعثية في سورية بشدة هذه الطموحات التوسعية، وشارك السوريون في التحالف الدولي الذي قاد عملية «عاصفة الصحراء»، وهي العملية التي حررت الكويت من القوات العراقية.

وكما كانت عضوية الحزب الشيوعي في ألمانيا الشرقية الاستبدادية أو الصين الماوية أو الاتحاد السوفياتي، فإن عضوية حزب البعث في العراق كانت من الأهمية بمكان لأي شخص على أمل أن يحوز أي نوع من مكتب حكومي أو ممارسة نشاط تجاري أو الحصول على خلاف ذلك في المستقبل. ولم يكن حزب البعث العراقي ذا أيدولوجية فاعلة أو جاذبة، ولم يجد غير الأسلوب الوحشي القمعي ليقود العراق. على رغم أنه كان هناك بالتأكيد بعض المؤمنين الحقيقيين، فقد انضم معظم أعضاء حزب البعث إلى الحزب لأغراض عملية. وعلى حد تعبير أحد زملائي العراقيين «اضطر معظم العراقيين للانضمام إلى حزب البعث، ولكن ليس جميعهم من الصدّاميين». ولا يبدو أن عدداً من الناس يناقشون حالياً ما إذا كان عدد من قادة «داعش» والمؤمنون الحقيقيون يستخدمون الفكر الجهادي كستارة لأن حركتهم البعثية لا يبدو أنها تسأل نفسها عما إذا كانت هذه القيادات يمكن أن تكون من الإسلاميين الذين يختبأون في السابق وراء حجاب من البعثية.

في الفترة التي سبقت حرب الخليج؛ حاول صدّام أن يلعب ببطاقة القومية العربية لحشد العالم العربي وراءه، ولكنه فشل فشلاً ذريعاً. وفي الواقع؛ انضم عدد من الدول العربية إلى قوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة ضد العراق. وفي أعقاب حرب الخليج، غيّر صدّام تكتيكاته الأيديولوجية، وأكد على نحو متزايد على الإسلام. وقد فعل ذلك ليس فقط رمزياً وخطابياً، إنما أيضاً من الناحية العملية، من خلال إعطاء الدعاة السلفيين حرية أكبر. هذه الزيادة في التدين داخل الدولة فتحت الباب للعراقيين السلفيين للعمل داخل الدولة بصفتهم «بعثيين».

12 سنة منذ الغزو الأميركي للعراق أجبرت صدّام حسين ورفاقه على مغادرة السلطة. لقد مات صدّام وانتهت العبادة الشخصية له والتي دامت لفترة طويلة. ولا حتى أكثر المتحمسين يمكن أن يكون له أي أمل في إعادة تأسيس النظام الصدّامي القديم.

من الواضح أنه من المستحيل قراءة عقول قادة «داعش» لتحديد بالضبط كيف أنهم يعتقدون في فكر الجماعة وإلى أي مدى. ومع ذلك؛ هناك بعض السلوكيات يمكن ملاحظتها ويمكن أن تساعد في تقييم التزامهم الأيديولوجي.

أحد المؤشرات لشكل العقل الخاص بالإطار الأيديولوجي للقادة هو أن إصرارهم لا يكل ولا يميل في عملياتهم الهجومية على رغم وقوع إصابات. وبمجرد أن يقتنصوا فرصة فإنهم يعضون عليها بأسنانهم ولا يجعلوها تفلت من أيديهم. وقد انعكس ذلك بوضوح في إصرارهم العنيد على الاستيلاء على المدينة السورية عين العرب. وعلى رغم أن المدينة هي مكان غير حاسم في ساحة المعركة، فإن «داعش» لا يلين في محاولاته للسيطرة على عين العرب، وإرسال تعزيزات متكررة من الرجال والأسلحة إلى مفرمة اللحم التي أصبحت المدينة تمثلها. ويبدو أن هذا يشير إلى أن قادة الجماعة يعتقدون حقاً أنهم يتسمون بالعناد كما أن العناية الإلهية تحوطهم.

إن قرار عين العرب لم يظهر أي دلالة على أن قادة الجماعة تبنوا قرارات واقعية تستند فقط على الاعتبارات العسكرية.

ولم يكن قادة «داعش» أيضاً واقعيين في استخدام السياسات الطائفية الحادة والتكفير لاختيار معارك مع كل جماعة عرقية ودينية واجهها «داعش». هذا يقف في تناقض صارخ مع فلسفة تنظيم «القاعدة» لمهاجمة مجموعات أخرى إذا تعرضت لهجوم تنظيم «القاعدة» أولاً، والتركيز على عدو واحد في وقت واحد. وأعلن «داعش» حرباً على العالم، ولم يهرب من مهاجمة أي شخص (مع استثناء محتمل لقرار الجماعة بعدم استفزاز تركيا حتى تم تهديد طرق الإمداد). هذا غالباً يؤدي إلى وجود مجموعة للقتال على جبهات متعددة في آن واحد.

وبالطريقة نفسها، فإن قادة الجماعة لم يكونوا على قدر الرشد عندما يتعلق الأمر بالأعداء الخارجيين. وفي حين تشارك بالفعل في حرب وحشية على جبهات متعددة في العراق وسورية، فإن «داعش» يستفز عن قصد الولايات المتحدة وغيرها من البلدان الأجنبية للدخول في المعركة. جذب الولايات المتحدة ودول أخرى «صليبية» في النزاع يساعد «داعش» عقائدياً، لكن الجماعة لم يكن لها أي مشاكل في تجنيد المقاتلين الأجانب من قبل هذه القوى الخارجية التي تدخل المعركة.

ويروّج «داعش» لنهاية العالم، الأيديولوجية الألفية التي تدعي أن المجموعة ستتكبد خسائر فادحة حتى مجموعة صغيرة من المؤمنين الحقيقيين، بقيادة النبي «عيسى» والتي ستهزم القوات «الصليبية» التي يقودها المسيح الدجّال في المعركة النهائية في «دابق» في سورية. وبعد الانتصار في «دابق»، فإن المؤمنين الحقيقيين سيكونون قادرين على توسيع «داعش» لغزو الأرض. استفزاز الأميركيين والقوات الأجنبية الأخرى لمهاجمتهم يبدو أنه يشير إلى أن قادة «داعش» ليسوا فقط يعززون هذا الفكر، ولكن أيضاً يعتقدون أنه ربما يكون صحيحاً ويتصرفون وفقاً لذلك. هذا لا يعني أنه لا توجد انتهازية بين قيادة «داعش» والأعضاء، فقط يظهر قيادات الجماعة أنهم يتصرفون كما لو كانوا مؤمنين حقيقيين أكثر بدلاً من كونهم متلاعبين ساخرين.

وعند الحديث عن «دابق» (وهو الاسم الذي اختير أيضاً لمجلة داعش باللغة الإنكليزية)، نجد أن المدينة تقع داخل المنطقة الآمنة التي يسعى الأتراك إلى إقامتها في شمال سورية. وسيكون من المثير جداً مشاهدة كيف يستجيب قادة «الدول الإسلامية» في الجهود المبذولة لدفع قواتهم إلى خارج البلدة. وتحتل «دابق» مكاناً بارزاً في عقيدة التنظيم المتعلقة بالإيمان بـ«داعش»، وسيكون من المهم أن نرى كيف أن بذل الكثير من الجهد يجعل المجموعة تحافظ على سيطرتها عليها. ولا تملك بلدة «دابق» أي أهمية تكتيكية حقيقية، وإذا اتخذ «داعش» الإجراءات اللازمة لحماية المدينة على رغم عدم جدواها التكتيكية، فسيكون ذلك علامة أخرى على أن قادة الجماعة هم المؤمنين، وليس البعثيين الساخرين الذين يستخدمون الأيديولوجية للتلاعب بأتباعهم.

«جبهة النصرة»

صدام حسين

عزت الدوري

أسامة بن لادن

أبو مصعب الزرقاوي

ناصر الوحيشي